مقدمـــــــة

التمكين الإلهي ليوسف عليه السلام: من المحنة إلى القيادة

صبر يوسف عليه السلام وتوليه خزائن مصر:

خرج يوسف عليه السلام من السجن بريئًا عزيزًا مُمكَّنًا، بعد سنين من البلاء والصبر، ليحقق اللّه وعده: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٦].

اختاره الملك لما لمس فيه من حكمة وأمانة، فطلب يوسف المسؤولية قائلاً: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ليُدير شؤون البلاد في ظرف عصيب.

إدارة يوسف لاقتصاد الأمة:

أبدع يوسف عليه السلام في إدارة اقتصاد مصر، فخزن الحبوب بحكمة واقتدار.

كان قدوة في الزهد والتواضع رغم سلطته، كما فعل نبينا محمد ﷺ من بعده.

لقاء يوسف بإخوته: بداية لم الشمل:

جاء إخوة يوسف يلتمسون القمح وهم لا يعرفونه.

وقف يوسف أمامهم بعد سنين، وطلب منهم إحضار أخيهم بنيامين، بخطة ربانية تهدف إلى لم الشمل لا الانتقام.

ثقة يعقوب باللّه رغم الألم:

وافق يعقوب على مضض إرسال بنيامين، بعد أن أخذ عليهم موثقًا غليظًا، خوفًا من فقده، لكنه توكل على اللّه: ﴿فَلَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٦٦]. >>> هذا يعلمنا الثقة باللّه حتى في أحلك الظروف.

قيادة يوسف: منهج العدل والإحسان:

أصبحت مصر تحت قيادته قبلة للعالم الجائع، وكانت قيادته مثالاً في:

- إدارة الأزمات
- تغليب الصالح العام
- التخطيط بعيد النظر
- الرحمة حتى مع من أساء.

١ عفو يوسف عليه السلام: قمة النبل وضبط النفس

الموقف العظيم: تجلي الصبر والثبات:

يوسف عليه السلام في ملكه، يرى إخوته الذين ظلموه يدخلون عليه، ويعرفهم فورًا، بينما هم لا يعرفونه.

هذا الموقـــف يظهر قمة الثبـــات الانفعالـــــــــي.

امتحان العفو: درس في ضبط النفس:

كان يوسف قادرًا على الانتقام أو إذلالهم، لكنه أظهر أعظم صور التحكم في النفس، الحلم، والعفو.

قابلهم بهدوء واتزان وأحسن إليهم، متسامياً عن مظالم البشر.

دروس من عفو يوســف علــيه السلام:

العفو يزيد صاحبه عزًّا، كما قال النبي ﷺ: "ومـا ازداد عبدٌ بعفـوٍ إلا عــزًّا".

التواضع سبيل للرفعة، ودفع السيئة بالحسنة مرتبة عظيمة لا ينالها إلا الصابرون: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت: ٣٥)}.

عواقب الظلـــم:

المظلوم لا ينسى من ظلمه أبدًا، قد ينسى الظالم ظلمه، لكنه يظل محفورًا في قلب من ظُلِم، إما أن يعفو، وإما أن يأخذ حقه يوم القيامة.

ولذا فليحذر الإنسان أن يظلم، وليعلم أن اللّٰه لا ينسى.

الأخوة والشيطان:

الأخ يظل أخًا مهما فعل، وأن الشيطـــان هو العدو الحقيقي. فها هم إخوة يوسف يعودون إليه، ويتصالحون بعد طول فُرقة.

حكمـــة يوسف في الحوار وخدمة الناس:

استطاع يوسف أن يستدرج إخوته بالمحادثـــة لمعرفة حال أبيه وأخيه دون أن يشكـــوا فيه.

جمع بين الترغيب والترهيب في حديثه: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ و﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

ومن الإشارات الدقيقة في الآية: "فَدَخَلُوا عَلَيْهِ"، جاء حرف الفاء ليشير إلى سرعة دخولهم على يوسف، رغم أنهم أجانب، ما يدل على عدله وسهولة الوصول إليه، فلم تكن بينه وبين الناس حواجز. وهكذا ينبغي لأهل الولايات أن يكونوا في خدمة الناس، قريبين منهم.

٢ فقه التعدد والاقتصاد: دروس شرعية واقتصادية

مشروعية التعدد:

إشارة يوسف لأخيه "من أبيكم" تلمح لمشروعية التعدد في الإسلام بشروط العدل، كما كان من سنن الأنبياء.

فقه التعدد: التسليم لأمر الله:

التعدد تشريع إلهي يراعي المصلحة الغالبة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.

يجب التمييز بين الكراهة الجبلية (المعفو عنها) والرفض الشرعي (المذموم)، والموقف الصحيح هو محبة الشرع مع التسليم للمشاعر الإنسانية.

الحكمة الاقتصادية ليوسف: الاستقلال والتمكين:

أظهر يوسف الوفاء والكرم في المعاملة ("زن وأرجح").

استخدم قوته الاقتصادية للتأثير على القرارات، فـ "من يملك القوت يملك القرار".

هذا يؤكد أهمية الاستقلال الاقتصادي للدول الإسلامية، وأن المقاطعة الاقتصادية وسيلة مشروعة للضغط.

٣ رد يوسف ثمن البضاعة: بصيرة الحكيم وكرمـــه

أسبـاب رد البضاعـــة:

أمر يوسف برد بضاعة إخوته لعدة أسباب محتملة:

- **لضمان عودتهم في العام القادم** وهذا الأرجـح
- **استنكافاً منه أخذ مال من أهله**
- **لإشعارهم بالحرج للعودة.**

الخلاصـــــــــة:

هذا التصرف يعكس بصيرة اقتصادية عميقة واستثمارًا نبيلاً من يوسف عليه السلام لتحقيق مقاصده.

٤ "فاللّٰه خيرٌ حافظاً": تأملات في التوكـــل والثقة باللّٰه

أسلوب الإخوة وتكـــرار الألم:

عاد الإخوة إلى أبيهم بأسلوب جارح، قائلين: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾، ثم كرروا العبارة التي سببت جرحًا سابقًا: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، مما أثار ألم يعقوب: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

التوكل الحق مفتاح الطمأنينة:

لجأ يعقوب لأسماء اللّٰه الحسنى لتهدئة حزنه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

معرفة أسماء اللّٰه هي مفتاح الطمأنينة وسر السكينة وقت الابتلاء، وقد ظهرت ثمرة هذا التوكل في حفظ اللّٰه ليوسف.

الفرق بين التوكل على اللّٰه وعلى النفس:

عندما قال يعقوب: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، حفظ اللّٰه يوسف.

وعندما قال الإخوة: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ضاع منهم يوسف وبنيامين. هذا يوضح الفرق بين تفويض الأمر للّٰه والاعتماد على الذات، وأن التوكل يشمل كل أمور الحياة.

٥ رسالة لأهل البلاء: الأمل في رحمة اللّٰه

يوسف هذا العصر:

المتألمون اليوم في غزة واليمن والسودان هم يوسف هذا العصر. الألم عظيم، لكن الأمل في اللّٰه أكبر.

يوسف هذا العصر:

المتألمون اليوم في غزة واليمن والسودان هم يوسف هذا العصر. الألم عظيم، لكن الأمل في اللّٰه أكبر.

٦ المصلحة وتلاعـــب الألفـــاظ: فاحـــذروا النفاق

تغير الألفاظ للمصلحة:

نلاحظ كيف تلاعب الإخوة بالألفاظ، فاستخدموا "أخانا" عند الحاجة، وتغيرت إلى "ابنك" عند الاتهام، مما يظهر النفاق الأخلاقي.

النفـــاق الأخـــلاقي:

هذه الظاهرة ليست مقتصرة على القصص القديمة، بل نراها في حياتنا اليومية، حيث ينسب البعض الفضل لأنفسهم عند النجاح، ويتبرؤون عند الخطأ.

٧ الإحسان مفتاح القلوب

تأثير إحسان يوسف:

رد البضاعة أثر في قرار الإخوة، وأصبح الإحسان جزءًا أساسيًا في إقناع يعقوب بإرسال بنيامين وهذا يؤكد أن الرحمة والتعامل الطيب يفتح القلوب ويغير المواقف.

٨ الحلـف والوفاء بالعهد

تأثيـــر الحلف باللّٰه:

عندما طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه أن يحلفوا له على أنهم سيرجعون ببنيامين، كان يعلم جيدًا أن هذه اليمين ستزيد من مسؤوليتهم تجاه العهد.

٩ التوكل على اللّٰه مع أخذ الأسبـــاب

نصيحة يعقوب: الحذر لا يمنع القدر:

أوصى يعقوب أبناءه بدخول مصر من أبواب متعددة لأخذ الأسباب، مؤكداً أن الأمور بيد اللّٰه: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. التوكل السليم يعني العمل الجاد مع الاعتماد القلبي الكامل على اللّٰه.

تحقق القدر الإلهي:

دخول الأبناء من أبواب متعددة كان جزءًا من التدبير الإلهي، وتحقق قدر اللّٰه.

عواقب الذنوب (الهم والغم) كانت بسبب خطاياهم السابقة، لا بسبب عدم الأخذ بالأسباب.

١٠ رقـة قلـــب يعقوب :

مراعـــاة الأب لأولاده:

رغم المعاناة، ظل يعقوب يراعي مصلحة أبنائه، وأظهر لهم المحبة والرحمة بكلمة "يا بني" عندما شعر بتغير سلوكهم.

١١ العمـــــــل بالعلم

يعقوب "لذو علم لما علمناه":

كان علم يعقـــوب عليه السلام عمليًا، يطبقه في حياته وتربية أبنائه. فالعلم لا قيمة له إذا لم يُعمل به، وهذا سر حكمة الأنبياء.

١١ دروس تربوية شاملة: منهج المؤمن في الحياة

- الحذر لا يمنع القدر
- بر الوالديـــــن
- الاعتماد على اللّٰه
- الرضـــا بقدر اللّٰه
- عواقب الذنـــوب